هيئة الشام الإسلامية

سلسلة مطبوعات
هيئة الشام الإسلامية (٢)

مهلاً..
لا تعتدوا على الله !!..

تأليف
د. مرهف عبد الجبار سقا

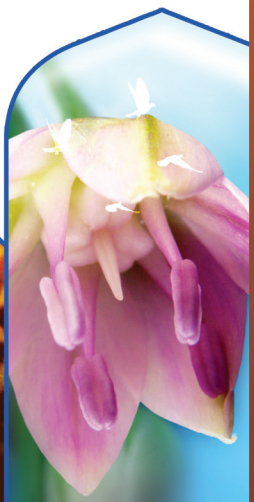

الطبعة الأولى، صفر ١٤٣٤ هـ
ديسمبر / كانون الأول ٢٠١٢

مهلاً...
لا تعتدوا على الله !!..

د. مرهف عبد الجبار سقا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد سعت هيئة الشام الإسلامية لإصدار مجموعة من الكتب والرسائل العلمية والدعوية والتربوية، قياماً منها بواجب البلاغ والنصح للأمة.

فعهدت بتأليف هذه الكتب والرسائل إلى المكتبين العلمي والدعوي بالهيئة، لتخرج على شكل مختصرات علمية في موضوعات شرعية مختلفة، تتميز بعبارات سهلة موجزة، تراعي أهم ما ينبغي على المسلم معرفته من أمور دينه.

كما قامت الهيئة بانتقاء عدد من مؤلّفات بعض أهل الفضل والعلم، والتي تتميز بجودة مادتها العلمية، ورصانة أسلوبها. وطبعَتها ضمن سلسلة إصداراتها بعد موافقة مؤلفيها وإذنهم.

ومن هـذه المؤلفات: كتاب «لا تعتدوا عـلى الله» الذي يعالج ظاهرة ابتليت بها بعض مجتمعات المسـلمين، من سب الله عز وجل، ورسـوله صلى الله عليه وسـلم، ودينه، عدواً بغير علم، ويُبيّن ما في هذه الألفاظ المنكرة من خطر على دين المرء وعقيدته، وما يترتب على ذلك من أحكام.

هذا الكتاب من تأليف فضيلة الشيخ الدكتور مرهف عبد الجبار سقا - أستاذ القراءات وعلم التفسير - فجزاه الله خيراً.

والله تعالى نسـأل أن يتقبل منه ، وينفع بكلماتـه، ويجنب أمّتنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والحمد لله رب العالمين

هيئة الشام الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فإن دخول الجنة والفوز بمرضاة الله غاية كل مسلم، وهذه الغاية السامية لن يظفر بها أحد إلا إذا صحت علاقته بالله تعالى ، وإن العلاقة بالله تعالى لا تصح إلا إذا صح الإيمان به وسلمت العقيدة، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا**» وفي رواية أخرى : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا**»(١)، وأول هذا الإيمان وأساسه هو الإيمان بالله تعالى ، بمعنى صحة اعتقاد المسلم بالله تعالى ، وإيمانه برسالة نبينا محمد ﷺ؛ لأن صحة الاعتقاد بالله تعالى تعني صحة الارتباط والعلاقة به سبحانه .

فكلما كان المسلم قوي الإيمان صحيح الاعتقاد لا يدخل الشك في إيمانه ؛كلما زاد أدباً مع خالقه وعملاً بشرعه وغيرةً على

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣، رقم ٢٠٣ و٢٠٤).

دينه ومثابرة على ذكر الله وخشوعا له ،قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

وكذلك: كلما نقص إيمان المسلم كلما ساء أدبه مع الله ،وأمعن تفلتاً من شرع الله وقل اهتمامه بشؤون دينه وزادت غفلته عن الله وتراكمت معاصيه فلم يبال إن كان ما يقوم به من فعل أو كلام يوافق مرضاة الله تعالى ورسوله أم لا.

وقد حدثنا القرآن كثيراً عن مقالات اليهود والنصارى وانحرافاتهم وتفلتهم من دين الله وأوامره، بل وعن مقالاتهم عن الله تبارك وتعالى ، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ... ﴾ الآية [المائدة :٦٤].

وقال الله فيهم أيضاً : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ

النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

فقد نسبوا لله الولد، وانتقصت اليهود قدر الله تعالى فوصفته بالبخل سبحانه وتعالى، وما قولهم هذا إلا لفساد اعتقادهم بالله تعالى وتجبرهم وتكبرهم على الخالق سبحانه وتعالى، وجهلهم بقدر الله.

وقد بين الله فظاعة كلامهم وفساد اعتقادهم، فقال: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾** [مريم ٨٨ - ٩١].

وعليهم وعلى أمثالهم يصدق قوله تعالى: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم - من حديث عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون. أين المتكبرون؟!**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٢، برقم ٤٥٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨، ورقم ٢٧٨٨).

وحتى لا يستَنَّ بعض المسلمين بسنة اليهود والنصارى في الإساءة في حق الله ورسوله؛ فقد أوجب الإسلام العلم على المسلمين وجعله فرض عين على كل واحد منهم، ولم يعذر أحداً في الجهل بعقيدته وشرعه، فقد ورد عن الرسول ﷺ: «**طلب العلمِ فريضةٌ على كل مسلمٍ**»[1]، وكلمة «كل مسلم» تشمل الرجال والنساء، فالعلم هو الذي يسوِّر إيمان المسلم ليحفظه من الردة والكفر والشرك والشك في الدين، ويحفظه من أن يقع بما وقع به اليهود والنصارى نسأل الله السلامة .

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٨١، ورقم ٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه (١/ ٢٩٦).

موضوع الكتاب والدافع لكتابته

لقد ابتليت بعض بلاد المسلمين بألفاظ شاعت بين الناس، من السباب والشتائم في حق الله ورسوله، تسمعها خاصة عند الخصومات أو المشاجرات كما أسلفت؛ فإذا مررت في الأسواق أو في مجالس الأحياء أو حضرت مخاصمة تعالت فيها الأصوات وسيطر عليها الشيطان ؛ تسمع ما ينفطر له قلبك؛ بل تسمع ما تُدَكُّ لهوله الجبال من سبٍ لله تعالى الذي بقبضته السماوات والأرض ، أو شتمٍ للدين عَدْواً بغير علم ، أو تعريضاً بالرسول ﷺ بالتنقيص أو السباب، وكأن رب العالمين أو الدين غريم ينتقم منه والعياذ بالله، وقلما تجد من ينكر هذه الظاهرة من الجالسين بحكمة وموعظة حسنة، بسبب جهلهم بخطورتها والأحكام المترتبة عليها، بل تعدى الأمر إلى أن تسمع مثل هذه الألفاظ الفظيعة من أطفال يقلدون آباءهم أو مَن هم أكبر منهم سناً، ولولا كثرة سماع الأطفال لهذه السُبات من الكبار وترددها على مسامعهم ما تلفظوا بها .

وهذه رسالة موجزة، فيها بيان أهم الأحكام المترتبة على سب الله ورسوله ودينه أو الاستهزاء بهم أو بشعيرة من شعائر الإسلام،

وتبين ما في هذه الألفاظ من الخطورة الإيمانية والعقائدية التي توجب لقائلها الخاتمة على غير الإيمان نسأل الله العافية.

أيها القارئ الكريم إن واجب الأخوة الإيمانية يحتم علينا أن ننهض بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحذير إخواننا من هذه المنكرات الخطيرة، حتى لا نسلك مسلك اليهود والنصارى في انتقاص قدر الله تعالى أو سبّه أو نحو ذلك، فإن أخطر ما يتعرض له المسلم في الدنيا: المروق من الدين والخروج من ملة المسلمين، وهو أخطر وأفحش أنواع الكفر، فالذي يتلفظ بما يوجب الردة - والعياذ بالله - فقد وقع في غضب الله، وخاض في لعنة الله له وملائكته والناس أجمعين، وإن المجتمع الذي تظهر فيه هذه الظاهرة - أعني سب الله ورسوله ودينه - ولا ينكرونها أو يخافون إنكارها ويسكتون عنها؛ لهو معرض لعقاب شديد من الله عز وجل. والآثار في ذلك كثيرة، ففي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**»[1]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ما نزل بلاء

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢١٤، ورقم ٤٣٤٠)، والترمذي (٥/ ٢٥٦، ورقم ٣٠٥٧)، وأحمد (١/ ٢٢١، ورقم ٥٣).

إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة»[1].

وقد اجتهدت قدر ما استطعت أن أبسط العبارة وأوضح الفكرة والحكم لتسهل القراءة على جميع المستويات الثقافية، ويتسنى قراءتها لأكبر شريحة ممكنة والله الهادي للحق.

(١) روي هذا القول عن النبي ﷺ، لكنه لا يصح، وقد ثبت عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم بألفاظ مختلفة.

وجوب تعظيم الله
وصون الإيمان من عثرات اللسان

لا بد من التذكير بأن الواجب على المسلم العاقل أن يحاسب نفسه على كلامه، ويمسك نفسه في الرضا والغضب و يعلم أنه مؤاخذ بما يقــول ، وهذا ما حث عليه القرآن الكريــم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وقال تعــالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِــينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

ومما ذكر ابن كثير في تفســيره عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعــالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] قال : «يكتب كل مــا تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله : أكلت، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت ، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيــه من خير أو شر وألقي ســائره ،وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد : ٣٩] »[1].

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٩).

وذكر أيضاً عن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاووس أنه قال: «يكتب الملك كل شيء حتى الأنين»، فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله[١].

فانظر أخي المسلم إلى القدوة الصالحة التي وفقها الله لمحاسبة نفسها ومراقبتها حتى في الأنين، فكيف بالذي يتهاون بألفاظه، ولا يعبأ بما يقول ويتجبر على الجبار القهار.

ولا تحسبن أخي المسلم أني مبالغ فيما أقول من محاسبة الإنسان على كل حركاته وألفاظه، بل هذا ما أخبر به النبي الرحيم ﷺ، كما في الحديث الذي رواه عنه معاذ بن جبل رضي الله عنه وفيه: فأخذ بلسانه فقال: «**كف عنك هذا**»، فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ!، وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم**»[٢].

فانظر رحمك الله إلى الخطر العظيم لمن أرخى للسانه العنان، فقد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١١، ورقم ٢٦١٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤، ورقم ٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١، ورقم ٢٢٠٦٩).

خص اللسان من بين جميع الأعضاء؛ لأن الأعضاء كلها تابعة له، فإن استقام استقامت وإن اعوج اعوجت.

ولكثرة الكلام مفاسد يتعذر إحصاؤها ، فحاذر أخي المسلم من لسانك فهو مركبك إلى الجنة أو مهلكك في عذاب الله تعالى .[١]

وعن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

فكان علقمة الليثي يقول : كم من كلام قد منعنيه حديث بلال ابن الحارث[٢].

فكيف بالذي أطلق لسانه في التعرض لله تبارك وتعالى ولرسوله

---

(١) وأنصح للتوسع في هذا المجال قراءة كتاب صون الإيمان من عثرات اللسان لفضيلة الأستاذ الشيخ الفقيه المربي محمد أديب كلكل حفظه الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٩، ورقم ٢٣١٩)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٢، ورقم ٣٩٦٩)، وأحمد (٣/ ٤٦٩، ورقم ١٥٨٩٠).

ودينه شتماً وسباً؛ ولأجل ماذا ؟!، لأجل أمور عرضية من مال أو متاع أو حاجة نفسية، و لأجل أن ينصر نفسه ويخيف الناس بجبروته معبراً عن ذلك بسب الله ورسوله ودينه.

ولتعلم أخي المسلم أن اللعن في أصله ليس من أخلاق المسلم، لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلا بِاللَّعَّانِ، وَلا بِالْفَاحِشِ، وَلا بِالْبَذِيءِ**»(١).

فإن كان لعن المسلم لأخيه موجب لفسقه؛ للحديث : «**سِبابُ المسلم فِسقٌ وقتالُه كُفرٌ**»(٢) ، فكيف بالذي يلعن ويسب رب العالمين الذي يطعمه ويسقيه ويميته ويحييه ،ويشفيه ويبتله ويرزقه المال والولد وكل شيء بيديه سبحانه ،ويتعرض بمثل ذلك لرسوله الأمين ﷺ في حال من أحواله. ولدينه الإسلام الذي هو العروة الوثقى منهاج حياته وسبيل سعادته ، و محل نجاة المسلم يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٠، ورقم ١٩٧٧)، وأحمد (١/ ٤٠٤، ورقم ٣٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٧، رقم ٤٨)، ومسلم (١/ ٨١، رقم ٦٤).

أين المشكلة وما هو العلاج؟

إن السبب الرئيس في ظهور هذه الظاهرة الخطيرة هو ثورات الغضب وعدم ضبط النفس عند الانفعال، فيستسلم الغاضب لثورات نفسه ويطلق العنان للسانه أن يقول ما لا يرضاه العقل والقلب وبدون رقابتهما لغيابهما في هذه الحالة الانفعالية، وهذه أوضح دلائل ضعف الإنسان، وقد بيّن الرسول ﷺ محل القوة والشدة بأنها في تملّك النفس ،فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[1] .

وتفادياً لمخاطر الغضب فقد أرشدنا الإسلام إلى معالجة أنفسنا إذا وجدنا الغضب بدأ يستحكم على تصرفاتنا وكلامنا، ونحن نذكرها هنا مختصرة :

١ - **الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم** : بأن يقول عند الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومعنى الاستعاذة : الالتجاء إلى الله

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٧، رقم ٥٧٦٣)، ومسلم (٤/ ٢٠١٤، رقم ٢٦٠٧).

تعالى من خبث الشيطان اللعين ومكره، وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ؛ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**» ، فَقَالُوا لَهُ (قال الناس للرجل الغاضب) :إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ ،فَقَالَ : «وَهَلْ بِي جُنُونٌ»[1].

وفي هذا الحديث فوائد ، منها أن حالة الغاضب تظهر للناس كحالة المجنون، ولا أحد يرضى لنفسه أن يوصف بالجنون، والفائدة الثانية أن الغضب لما استملك قلب هذا الرجل أعرض وتعالى على كلام النبي ﷺ، وهذا من فعل الشيطان، ولو سمع وأطاع لذهب عنه ما يجد.

٢- أن يلصق نفسه بالتراب: بأن يجلس أو يضطجع أو يستلقي، وذلك لما أخرجه الترمذي وصححه من حديث طويل عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -وذكر الحديث وفيه-: «**وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ**

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٥، رقم ٣١٠٨)، ومسلم (٤/ ٢٠١٥، رقم ٢٦١٠).

فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالْأَرْضِ»[١].

ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أنّ أعراض الغضب وسبب ظهورها ، وشبّه الغضب بالجمرة التي تؤذي القابض عليها، وتجعله على غير طبيعته ، وكذلك الغضب يخرج الإنسان من طبيعته إلى طبيعة أخرى تجعله يتجبر ويتكبر ، فعندما يلصق بالتراب يتذكر أصله الذي خلق منه ويعلم خسته وضعفه فيرده ذلك إلى الصواب إن شاء الله .

٣- أن يغير حالته التي عليها: فإن كان قائما فليجلس لأن القائم أقرب للهيجان والثورة والانتقام والحركة، والجالس أبعد عن ذلك والمستلقي أبعد وأبعد عن هذا ، وذلك لما أخرجه أبو داوود وأحمد في مسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا : «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»[٢].

٤- الوضوء: حيث إنّ جمرة الغضب في القلب كأنّما يشعلها الشيطان بناره ويحركها ليتملك جوارح الإنسان ويسيره هذا الشيطان كما يريد ويخرجه عن دين الله وشرعه ، فكان الوضوء

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٨٣، رقم ٢١٩١)، وأحمد (٣/ ١٩، رقم ١١١٥٩)، وغيرهما، وفي بعض طرقه ضعف.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٩٥، رقم ٤٧٨٤)، وأحمد (٥/ ١٥٢، رقم ٢١٣٨٦).

- الذي هو عبادة لله - هو العلاج لهذه الجمرة ومس الشيطان[١].

٥- **السكوت**: وذلك لما أخرجه أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ**»[٢].

والحقيقة إن السكوت حال الغضب هو أهم عواصم اللسان من الزلل والخروج عن شرع الله وذمته، وكم سلم من الناس لو أنهم أمسكوا ألسنتهم وسكتوا .

ولعلي أضيف سبباً آخر إلى استحكام الغضب في حالات الإنسان ، وهو عدم معرفة المتلفظ بخطورة ما يقوم به وجهله بالأحكام المترتبة على ذلك، ولكن الجهل ليس عذراً له أمام الله تعالى، لأن الإسلام فرض العلم على كل مسلم، خاصة إن كان يعيش بين العلماء ويستطيع أن يسألهم ويدارسهم ، وتلافياً لهذه المشكلة كانت هذه الرسالة الموجزة.

---

(١) ورد في الأمر بالوضوء عند الغضب عدة أحاديث، لكن فيها ضعف، فلا تثبت عن النبي ﷺ .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٩، رقم ٢١٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٩٥، رقم ٢٤٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٧٥).

واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وإن من الواجب على كل مسلم عندما يسمع هذه الألفاظ المكفرة - كسب الله ورسوله ودينه أو لعنهم أو انتقاصهم أو نحو ذلك - أن ينكر ذلك ولا يسكت متعللاً بأن الأمر لا يعنيه ولا علاقة له بالأمر، فلو سب زيد من الناس أباك أو أمك ما هو الموقف الذي تتخذه؟! .. ؛ أقل الأمور ستنفعل وتغضب لذلك، مع أن المسامحة في هذا الأمر مقدمة على الغضب، فلا يكون الله ورسوله ودينك أهون عندك وأقل من والديك وأهلك، بل إن الصدق في الإيمان يحتم عليك أن يكون الله ورسوله ودينه أحب إليك من والديك ومالك ونفسك التي بين جنبيك، للحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**»[1] الحديث. والنصوص القرآنية والنبوية مستفيضة في ذلك.

ولكن يجب على المنكِر أن يكون حكيماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فينبغي:

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٦، رقم ٥٦٩٤)، ومسلم (١/ ٦٦، رقم ٧٦).

أولاً: محاولة إمساك زمام الموقف في أجواء الغضب بأن يحد من التوتر والانفعال حتى لا يتورط أحد المتخاصمين من الزلل والكفر والعياذ بالله، من خلال تهدئة الأجواء.

ثانياً: أن يذكر الله في نفسه وأن يذكِّر المتخاصمين برفقٍ بالصبر وزوال الدنيا، ثم إن وقع هذا الزلل فليسارع إلى تهدئة هذا المتلفظ بألفاظ اللعن والسب بتغيير حالته من قيام إلى جلوس أو إخراجه من جو الخصومة والغضب، وتسميعه الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم دون أمره بها في البداية وأخذه بالرفق واللين وتصغير الأمور، هكذا حتى يتروى ويعقل ثم نذكره بالله ونذكره بالخطر الذي وقع به دون تعنيف ونذكره بالأحكام المترتبة على كلامه وأنه غير معذور بغضبه لأنه مأمور بإمساك نفسه.

ثالثاً: نأمره برفق بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن يتبرأ من الكفر وأن يعاهد الله على أن لا يعود لذلك ثانية ثم نأمره بأن يراجع زوجته إن كان متزوجاً أو يجدد العقد إن كان عاقداً على امرأة ولم يدخل بها وأن يستغفر الله تعالى.

ولتعلم أخي المسلم أنه ليس لك غير ذلك ، وأما إقامة الحد عليه إن لم يتب وتعنت في قوله فليس شأنك بل هو أمر الحاكم عندما يرفع الأمر إليه.

وجوب تحمل المشاق إرضاءً لله تعالى

إن حالة الغضب ليست عذراً ينجي هؤلاء الذين يسبون الله ورسوله ودينه، حتى وإن قالوا إنهم لا يقصدونها، وقد مر في الحديث أن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً فتودي به في جهنم سبعين خريفاً، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[1]، فإذن القوة ليست بغلبتك لخصمك بصرعه، وإنما القوة أن تملك نفسك ولا تخطئ في حق الآخرين، فأين هي القوة إذا تجرأ أحدنا على خالقه والمنعم عليه وأخطأ في حق الله ورسوله ودينه.

إن أحدنا ليستحي عندما يسمع من سير الصحابة في تحملهم الشدائد في سبيل الحفاظ على دينهم ويبذلون كل شيء لكسب مرضات ربهم حتى هجروا أرضهم وتركوا أموالهم وأبناءهم ونساءهم ... لأجل أن لا يخرجوا من الإسلام، وكي ينالوا رضا الله تعالى، بينما تجد بعض الناس لا يبالون بسلامة إيمانهم ولا يأبهون في بقائهم في ذمة الله؛ من أجل

(١) سبق تخريجه ص (١٤).

الحفاظ على مصالحهم وأموالهم وتجارتهم.

فعَنْ خَبَّابٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ ، قَالَ : «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[1] .

أما نحن فلم نبلغ أن مُشِّطنا كما مُشط السابقون من المؤمنين على يد أعدائنا، ولم نُمتحن كما امْتُحنوا هم ليتركوا دينهم مع وجود العذر لهم ، وإنما امتحنا بأنفسنا والدنيا فتنافسنا فيها وتركنا مرضاة الله ورسوله والعمل بدينه لأجل هذه الدنيا .

فينبغي على المسلم العاقل أن يقوي إيمانه بالله وأن يتعلم ما يزيده فقهاً في الدين ليستعين بذلك على ضبط نفسه من عواقب الغضب وسطوة المال والدنيا.

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢٢، رقم ٣٤٦١)، ومسلم (١/ ٨٦، رقم ٣٧٥).

عقوبة المرتد

وأحكام تتعلق بالردة عن الإسلام

وبعدما ذكرنا من خطورة زلات اللسان وثورات الغضب، وسطوة الدنيا وحب الذات التي تجعل الجاهل والغافل ينزلق في هاوية الردة وحضيض الكفر؛ ينبغي أن نعلم أثر هذه الردة على المسلم في الدنيا والآخرة، وما يترتب عليها من عواقب وأحكام.

صور من عقوبة المسيئين والمستهزئين بالله ودينه:

ذكر ابن كثير في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد: ١٣] ذكر ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال: «**اذهب فادعه لي**» قال: فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله ﷺ فقال له: من رسول الله وما الله أمِن ذهب هو أم من فضة هو أم من نحاس هو؟

قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: يا رسول الله قد

أخبرتك أنه أعتى من ذلك . قال لي : كذا وكذا . فأعاد رسول الله ﷺ الرجل إليه مرتين وهو يقول مثل قوله الأول ، فبينما هو يكلمه إذْ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله عز وجل : ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ**﴾[1] الآية .

قال ابن كثير : ﴿**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء**﴾ أي يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء ، ولهذا تكثر في آخر الزمان، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه أحمد «تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول : من صعق قِبلكم الغداة ؟ فيقولون: صعق فلان وفلان وفلان»[2] نسأل الله شديد المحال أن يجعل لمن سبّه أو سب رسوله أو سب دينه أو سخر بعباده الصالحين نصيباً من هذه الصواعق التي هذا وقت تكاثرها .

وذكر أحد الأفاضل قصة عاصرها ، وهي أن امرأة كانت ترعى الغنم حين كانت شابة واثنان من الشباب غير بعيد عنها في رعي

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٦٤، رقم ١١٦٣٨).

أغنامهم، وكان الحر شديداً واشتد بنا العطش وبالغنم، فاستغاث أحد الشابين بالله تعالى أن يسقينا، ولكن الآخر كان زنديقاً فاجراً فظهر مكنونه قائلاً لصاحبه بسخرية واستهزاء بالله «لو كان عند ربك ماءً سقى به نفسه» تعالى الله وتقدس .

تقول المرأة : بعد قليل أنشأ الله سحابه جاءت من المغرب حتى أظلّتنا فأمطرت علينا فارتوينا، أما الساخر بالله فتدلّت عليه السحابة وأحاطت به تقصفه بصواعق أصابنا منها رعب شديد والبرق يسطع من خلال السحابة فكدت أنا والشاب المستغيث أن يغمى علينا من هوْل الأمر، ثم انجلت السحابة عنه فإذا هي قد قطّعته قطعاً . فهذا جزاء عاجل لِساخرٍ بالملك الجبار قيوم السموات والأرضين شديد المِحال، وهذا حادث في زماننا منذ سنين ليست بعيدة .

قال ابن الجوزي في (صيد الخاطر) : «قال عبد المجيد بن عبدالعزيز : كان عندنا بخراسان رجل كتب مصحفاً في ثلاثة أيام فلقيه رجل فقال : في كم كتبت هذا ؟ فأوْمأ بالسبابة والوسطى والإبهام وقال : في ثلاث ﴿**ومَا مسَّنا مِن لُغُوب**﴾ فجفّت أصابعه الثلاث ، فلم ينتفع بها فيما بعد.

وخطر لبعض الفصحاء أن يقدر أن يقول مثل القرآن فصعد إلى غرفة فانفرد فيها وقال : أمهلوني ثلاثاً : فصعدوا إليه بعد ثلاث ويده قد يبست على القلم وهو ميت»[1] .

عقوبة المرتد في الآخرة:

المرتد لا يرد على حوض النبي ﷺ ولا يشرب من يديه الشريفتين ولا ينال شفاعته:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ ،فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .قَالَ قَبِيصَةَ :هُمْ الْمُرْتَدُّونَ الَّذِينَ**

(١) صيد الخاطر (١/ ٢٣٠).

ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»[1] .

ما أقساها من عقوبة أن يبعد المرء عن محل نجاته في وقت يفر المرء من أبيه وأمه وبنيه، .. يبعد عن حوض النبي ﷺ ويحرم من بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام، إن العقوبة المذكورة في هذا الحديث ليست مختصة فقط بمن ارتد في زمن أبي بكر رضي الله عنه، بل هي لكل من اتصف بالردة إلى يوم القيامة بأي سبب من أسباب الردة والخروج من الإسلام، وهذا المعنى يشمل المتعرض لله ورسوله ودينه بالتحقير والسب واللعن من باب أولى.

فما موقف ذلك الذي لم يبال بما يقول ويسمح لنفسه أن يتعرض لدينه وربه ورسوله بما لا يليق إذا وقف أمام الحوض وهو يرجو النجاة من شدة العذاب والناس سكارى من هول الموقف فتأتي الملائكة وتبعده عن صاحب الشفاعة ؟

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أخرى نورد بعضها للفائدة مع تعليق بسيط على معناها :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ**

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧١، رقم ٣٢٦٣)

أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ؛ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقُولُ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[1] .

أي فإذا عرفتهم أُبعدوا عني وحيل بيني وبينهم ، فأقول: إن هؤلاء من أمتي ، فيقال للنبي ﷺ : لا تدري ما أحدثوا من بعدك من تغيير للدين والطعن فيه ، أليس الذي يسب الله ورسوله ودينه قد طعن في الدين ولم يبال به وغيروا في إيمانهم !؟.

وعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : قَالَتْ أَسْمَاءُ رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي فَأَقُولُ أُمَّتِي فَيُقَالُ لَا تَدْرِي مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى**».

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٤٠٦، رقم ٦٢١١)، ومسلم (٤/ ١٨٠٠، رقم ٢٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٨٧، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (٦/ ١٧٩٤، رقم ٢٢٩٤).

المرتد كافر ملعون، وإن مات على حالته فهو مخلد في نار جهنم:

وهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ [البقرة: ١٦١، ١٦٢].

وكقوله تعالى أيضا: ﴿**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٧].

واللعنة من الله تعالى هي طرد من رحمته، فمن الذي يرحمه إن لم يرحمه الله تعالى، بل إنه لو افتدى بكل ما لديه من مال وجاه لن يقبل منه فداء كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٠، ٩١].

فما أعظمه من جرم حتى استحق هذا العقاب الأليم، فلنسارع

أيهـــا الأخوة للتوبة إلى الله تعالى والرجوع لدينه ولســـنة نبيه ولنعمل على تطهير مجتمعنا من هذه الظاهرة التي زرعها أعداء الله ورســـوله والمفسدون في الأرض على غفلة منا.

ما يتعلق بالمرتد من أحكام

مَن سبَّ اللهَ ورسولَه ودينَه أو حقر أحدهم أو انتقصهم فقد وقع في المحظور والخطر، وأهلك نفسه بالردة عن دين الله، وانطبقت عليه الأحكام الشرعية، ونوجز أهمها بالآتي:

أولاً: دم المرتد هدر:

يستتاب المرتد ثلاثة أيام، فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويتبرأ من الكفر ويستغفر الله تعالى، فإن عاد فبها ونعمت، وإن لم يعد يقتل لحديث النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[1]، لأنه بعدم عودته قد أظهر عناده ومحاربته للإسلام وتقصُّدَه للإهانة بالدين، ولا يجوز لغير الحاكم أو القاضي أو من ينوب منابه الأمرُ و المباشرة بقتله.

وعَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَرَّقَ قَوْمًا فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»،

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٨، رقم ٢٨٥٤).

وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١).

وكذلك الحكم فيمن سب النبي ﷺ أو انتقصه أو طعن فيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ويدل لذلك حديث ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَعْمَى كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ وَكَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنَانِ، وَكَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَسُبُّهُ، فَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ وَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَكَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَوَقَعَتْ فِيهِ؛ فَلَمْ أَصْبِرْ أَنْ قُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُهَا فَأَصْبَحَتْ قَتِيلًا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَالَ: أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا لِي عَلَيْهِ حَقٌّ فَعَلَ مَا فَعَلَ إِلَّا قَامَ.

فَأَقْبَلَ الْأَعْمَى يَتَدَلْدَلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ أُمَّ وَلَدِي وَكَانَتْ بِي لَطِيفَةً رَفِيقَةً وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ فِيكَ وَتَشْتُمُكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، فَلَمَّا كَانَتْ الْبَارِحَةُ ذَكَرْتُكَ فَوَقَعَتْ فِيكَ فَقُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٨، رقم ٢٨٥٤).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**»(١).

فالحديث دليل على أن الذي يسب الرسول ﷺ يقتل، وأن الذي يقتله دون إذن الحاكم أو قضائه فلا دية عليه ولا قصاص.

ثانياً : دفن المرتد:

وإذا مات المرتد – نسأل الله العافية – قبل أن يعود للإسلام، أو ثبت موته على غير الإسلام؛ فلا يجوز للمسلمين تغسيله أو تكفينه أو الصلاة عليه أو قبره في مقابر المسلمين بل يقبر في مقابر غير المسلمين دون تكفين أو تغسيل أو صلاة عليه، وقد ورد من الأحاديث ما يدل على بغض الأرض للمرتد والعياذ بالله ، ونذكر منها:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ .

فَأَمَاتَهُ اللهُ ، فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا : هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ،لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٦، رقم ٤٣٦٣)، والنسائي (٧/ ١٠٧، رقم ٤٠٧٠).

فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْـهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُـوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَـرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ. فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْـتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ[1].

ثالثاً: حكم ثواب أعماله الصالحة التي قام بها قبل الردة:

من ارتد عن الإسلام ثم عاد لا خلاف أن عبادته المتلبس بها عند ردته تبطل، كأن يكون قد تلفظ بلفظ من ألفاظ السباب أو الشتم في حق الله ورسوله أو دينه وهو صائم في رمضان أو غيره فيبطل صومه، أو تلفـظ بذلك في الحج وهو يقوم بمناسـك الحـج فيبطل حجه، وبذلـك يجب عليه إن كان صائماً بعد أن يتلفظ بالشـهادتين أن يتم إمساكه عن الطعام والشراب لحرمة الشهر ثم يقضي يومه الذي بطل، ويتم مناسك حجه أو عمرته التي يقوم بها ثم يقضيه في العام المقبل.

ولكن هل تحبط أعمال الـبر والخير والعبادات التي قام بها قبل الردة، ويحبط معها ثوابها؟

إن الذي يرتد عن الإسـلام لأي سـبب كان من أسباب الردة

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢٥، رقم ٣٤٢١)، ومسلم (٤/ ٢١٤٥).

ويموت على الردة ـ والعياذ بالله ـ فإن ثواب أعماله الصالحة المقبولة من العبادات وغيرها التي قام بها قبل الردة والتلفظ بالسباب قد حبطت ، نعم حبطت لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٧] فهذه الآية أفادت أن الذي مات مرتداً عن الإسلام لا قيمة لأعماله التي قام بها من صلاة أو زكاة أو صدقة أو حج أو غيرها من أعمال البر والخير .

وأفادت أيضاً أن ردته عن الإسلام وموته على الردة هي سبب لخلوده في النار ولا يخرج منها أبداً ، بخلاف المسلم العاصي فإنه – وإن دخلها – فلا يخلد فيها بل مآله إلى الجنة نسأل الله المغفرة.

وقال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥]، ومعنى الآية: أن النبي ﷺ – على شرف منزلته وعظم قدره عند الله – لو أشرك لحبط عمله، فكيف أنتم! لكنه ﷺ لا يشرك لفضل مرتبته واستحالة ذلك عليه ﷺ.

رابعاً :قبول عمل المرتد:

تكلمنا في الفقرة السابقة عن حكم ثواب الأعمال قبل الردة ، وفي هذه الفقرة نتكلم عن حكم نفس هذه الأعمال قبل الردة، أي هل يجب على المرتد أن يعيد حجه الذي قام به قبل تلفظه بالسب والشتم.

فمن ارتد عن الإسلام ثم عاد فهل تحبط أعمال البر والخير والعبادات التي قام بها قبل الردة؟ في المسألة اختلاف بين الفقهاء:

مذهب الإمام الشافعي أنه من ارتد ثم عاد إلى الإسلام لم يحبط عمله ولا عباداته ولا حجه الذي فرغ منه قبل الردة ،وإنما يحبط الثواب فقط ،فلا أجر له فيما عمل ، و إن مات على الردة فحينئذ تحبط أعماله مع ثوابها.

وقال مالك وأبو حنيفة: تحبط أعماله مع ثوابها بنفس الردة.

ويظهر الخلاف في المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم، فقال مالك وأبو حنيفة: يلزمه إعادة الحج، لأن الحج الأول قبل الردة قد حبط بالردة.

وقال الشافعي: لا إعادة عليه، لأن عمله باق وإنما حبط ثواب

عمله.نسأل الله الثبات على الإسلام .

ومما يذكر من الأدلة لما ذهب إليه الإمام الشافعي في هذا الموضوع:

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلًا حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ**»(١).

فهذا الحديث يدل على عدم قبول الأعمال الصالحة وعباداته ونحوها بعد توبته من ردته حتى يتبرأ من أسباب الشرك والكفر وكل ما يتعلق به ، ومن هذا التبرؤ بأن يهجر ديار المشركين وموطن الفساد العقائدي إلى ديار المسلمين والمجتمع الذي يجعله محافظاً على دينه بين الصالحين من بني ملته ، وفي ذلك دلالة على وجوب إعلان البراءة من أسباب الشرك والكفر فعلاً كما هو مطلوب قولاً ، وإعلان الولاء لله ورسوله ودينه عملاً وقولاً.

خامساً : ما يتعلق بعقد نكاح المرتد :

إذا شتم المسلم دينه أو ربه أو نبيه أو فعل أي فعل يوجب الردة

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٤٨ن رقم ٢٥٣٦)، وأحمد (٥/ ٤، رقم ٢٠٠٥٥).

عن الإســـلام، فهو إما أن يكون متزوجاً، أو لا يكون متزوجاً، وإن كان متزوجاً فهو إمـــا أن يكون قد دخل بزوجتـــه أو أنه عقد عليها النكاح ولما يدخل بها بعد، ولكل مسألة حكما.

١ - فإن كان متزوجاً قد دخل بزوجته: فإن زوجته تحرم عليه ولا يجوز له أن يقربها حتى يعود للإسلام، ثم يراجع زوجته، فإن مضت ثلاث حيضات على الزوجة ولم يراجعها الزوج ولم يعد للإسلام؛ فإن زوجته تبين منه أبداً لأن عقد الزواج مبني على الإسلام، وقد نقضت عروة الإســـلام في المرتد والعياذ بالله، ولكـــن لا يعطى حكم الذي يطلق زوجته طلاقاً بائناً بينونة كبرى، بمعنى أن هذا الذي ارتد بهذه الألفاظ المكفرة ولم يعد للإسلام ولم يراجع زوجته حتى مرت ثلاث حيضات فهي محرمـــة عليه حتى يعود للإســـلام ويعقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد وشـــهود جدد ولا تعامل الزوجة معاملة المطلقة ثلاث مرات بأن تنكح زوجاً آخر لتحل لزوجها الأول..

٢ - وإن كان المرتد قد عقد عـــلى زوجته ولم يدخل فيها: فإن عقد النكاح باطل، أي كأنه لم يعقد عليها أبداً، ولا يجوز له أن يعقد النكاح مرة أخرى سواء على زوجته هذه أم على غيرها حتى يعود للإسلام، وتكون

عودته للإسلام بأن يشهد الشهادتين ويستغفر ربه ويتوب إليه ويتبرأ من كل كفر ويعقد العهد على أن لا يعود لمثل ما عمله أبداً .

فإن جامع المرتد زوجته قبل عودته للإسلام وتجديد عقده فإن جماعه هذا سفاح حرام ، وإن قدر الله في هذا الجماع ولداً فيكون من حرام نسأل الله العافية .

أما عند الحنفية فقد قال السرخسي في المبسوط : «وإذا ارتد المسلم بانت منه امرأته مسلمة كانت أو كتابية دخل بها أو لم يدخل بها عندنا»، ثم يقول السرخسي : «إن كان الزوج هو المرتد فلها نصف المهر إن كان لم يدخل بها ونفقة العدة إن كان دخل بها وإن كانت هي التي ارتدت فلا مهر لها إن كان قبل الدخول وليس لها نفقة العدة بعد الدخول»[1].

سادساً: ما يتعلق بالإرث:

إذا ثبت موت المرتد قبل رجوعه للإسلام فإنه لا يرث منه أولاده وأقاربه المسلمون في مذهب الإمام الشافعي بل يعود ماله لبيت مال المسلمين .

(١) المبسوط (٤/ ٦٠).

وقال الإمام أبو حنيفة : ما اكتسبه في ردته فهو لبيت المال، وما اكتسبه في الإسلام فهو لورثته المسلمين .

و إذا مات أحد والدي أو أقارب المرتد قبل أن يرجع المرتد إلى الإسلام ،فإنه لا يرث المرتد من أبيه المسلم للحديث الذي أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافرا، ولا كافر مسلما**»، ثم قرأ ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال:٧٣]، والحديث أخرجه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه بلفظ : أن النبي ﷺ قال: «**لا يرث المسلمُ الكافرَ ولا الكافرُ المسلمَ**» وهذا قول أهل العلم كافة[1].

قال النووي: «أجمع المسلمون على أن الكافر لا يرث المسلم، وأما المسلم من الكافر ففيه خلاف، فالجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أنه لا يرث أيضاً، وذهب معاذ بن جبل ومعاوية وسعيد ابن المسيب ومسروق رحمهم الله وغيرهم إلى أنه يرث من الكافر،

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٨٤، رقم ٦٣٨٣)، ومسلم (٣/ ١٢٣٣، رقم ١٦١٤).

واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «**الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**». وأما وراثة المسلم من المرتد ففيه أيضاً الخلاف، فعند مالك والشافعي وغيرهم أن المسلم لا يرث منه وماله يكون فيئا لبيت المال سواء اكتسبه في الإسلام أم في الردة»[1] انتهى كلام النووي رحمه الله .

وقد ذكر السرخسي من الحنفية في المبسوط أن المسلم يرث من المرتد عند الحنفية، ثم قال : «ولهذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه إنه يورث عنه - أي المرتد - كسبُ إسلامه، ولا يورث عنه كسب الردة». وبذلك يعود ما كسبه في الردة لبيت مال المسلمين عند أبي حنيفة[2] .

سابعا: ما يتعلق بمعاملاته المالية:

إذا ارتد المسلم - والعياذ بالله - فإن القاضي يحجر على ماله ويمنعه التصرف فيه، ويسجن حتى يتوب إلى الله تعالى ويعود إلى الإسلام لأنه - كما يقول الإمام أبو حنيفة - يزول ملك المرتد عن ماله ويمنع التصرف فيه لأنه ليس حقه حتى يسلم.

أما بيعه وشراؤه فإن كل معاملة يجريها المرتد أثناء ردته لا

(١) شرح النووي (٥/ ٤٩٦).
(٢) المبسوط (٧/ ٥٨٦).

نجريهـــا ونتوقف فيها حتى يتبين لنا هل ســـيتوب أم لا؟!، فإن تاب فإن معاملاته صحيحة وتملكه صحيح وبيعه صحيح، وإن لم يســـلم حكمنا على معاملاته بالبطلان.

وأما عقده للنكاح فلا يجوز أن يباشره ولا أن يشهد عليه ولا أن يعقد القاضي له عقد نكاح، وإلا صار زنا والعياذ بالله.

وأما ذبيحته فلا يجوز الأكل منها أبدًا إن كان قد ذبحها أثناء ردته.

وإننا ننصح جميع الإخـــوة أن لا يتعاملوا في بيعهم وشرائهم مع من يشتمون الله ورسوله ودينه، سواء كان من المسلمين الذين ضعفت قلوبهم، أم من غيرا لمسلمين، تأديبا لهم حتى يعودوا للإسلام.

كلمة أخيرة

وبعد : فهناك فروع تفصيليـــة أخرى من الأحكام تتعلق بالردة يطول ذكرها، وإنـــما تعرضت لأهمها ولعناوينهـــا العريضة تحذيراً للمســـلمين ، وتنبيهاً لعظمة جانب الدين ، فـــإن الأمر يتعلق بآخرة المسلم قبل دنياه .

ونحن نعلم أن أعـــداء الدين لا يألون جهـــداً في زرع الوقاحة والجرأة بين شباب المســـلمين عن طريق جهالهم وعملائهم لإظهار الإلحاد أو الاســـتهانة بأركان الإســـلام والإيمان ، ويشجعون على مظاهر الاستهانة والاســـتهتار بشعائر الإســـلام تحت شعار الحرية المزيفة كالحرية الشخصية أو حرية المعتقد والكلام أو حرية الرأي.

فها نحن نشـــهد في عصرنا تـــوالي حالات الاســـتهزاء بالدين الإســـلامي وبنبيه محمد أشرف الخلق ﷺ، كما أننا نشهد أيضا نظاما مجرماً حاقداً ظالماً اســـتحل الأديان والأعراض والحرمات في سوريا، يقتل وهو يكفر بـــالله جهاراً نهاراً، هذا النظام ومن معه كانوا ســـبباً رئيساً في انتشار الكفر وشـــتم الله ورسوله على العلن في بلاد الشام،

مما حمل الناس على استسهال هذه الظاهرة، فإن لم نقم بتنظيف مجتمعنا ومدارسنا وجامعاتنا وتجمعاتنا وندواتنا وأحيائنا وبلدنا من هذه الظاهرة الدخيلة القاصمة ، فلا نلومن أعداء الإسلام بالاستهزاء بديننا، ولا يستبطئن أحدنا نصر الله لنا، ولا يستغربن من كثرة البلاء وتسلط الأعداء علينا، ولنعلم أن الله قادر على أن يستبدلنا بقوم آخرين يحبهم ويحبونه يدافعون عن دينه ورسوله وذاته سبحانه حق الدفاع، ويبذلون لأجل ذلك الغالي والنفيس ....

فحذار أخي المسلم أن يؤتى الدين من قبلك، أو يمس الرسول من خلالك، أو يستهان بالدين بسببك، أو أن تكون أنت ذريعة لعدوك ليمسوا جانب دينك، فتحمل وزر ما تقوم به ووزر من يقلدك في ذلك ، ففي الحديث عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**من سَنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عَمِل بها بعدَه من غير أن يَنقُصَ من أجورهم شيءٌ، ومن سَنَّ في الإسلام سُنةً سيئةً كان عليه وزرُها ووِزرُ مَن عمِلَ بها مِنْ بعدِه مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أوزارِهم شيءٌ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤، رقم ١٠١٧).

فلا تأتي يوم القيامة وقد تعلق برقبتك أناس بأوزارهم يقولون: يارب هذا الذي سمعنا منه ما قلنا فيعاقَبون مرةً، وتعاقَبُ مرّات .

نسأل الله أن يحفظ شباب المسلمين ونساءهم وكبارهم وأن يحفظ ألسنتنا من الزلل والخطأ والكفر آمين والحمد لله رب العالمين .

أهم المراجع

١- الترغيب والترهيب للمنذري ط دار الريان مصر.

٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، ط مصر.

٣- تفسير آيات الأحكام للقرطبي ط دار الكتب العلمية بيروت.

٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير تحقيق أنس مصطفى الخن ط مؤسسة الرسالة.

٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ط دار الفكر بيروت .

٦- شرح النووي لصحيح مسلم ط دار الفكر بيروت .

٧- المبسوط للسرخسي ط دار الفكر بيروت .

٨- مغني المحتاج شرح المنهاج للشربيني الخطيب ط دار الفكر بيروت .

الفهرس

تقديم	٣
المقـدمة	٥
موضوع الكتـاب والدافع لكتـابته	٩
وجوب تعظيم الله وصون الإيمان من عثرات اللسان	١٢
أين المـشكلة وما هو العلاج؟	١٦
واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٠
وجوب تحمل المشاق إرضاءً لله تعالى	٢٢
عقوبة المرتد وأحكام تتعلق بالردة عن الإسلام	٢٤
ما يتعلق بالمرتد من أحكام	٣٢
كلمة أخيرة	٤٤
أهم المراجع	٤٧

مهلاً.. لا تعتدوا على الله !!..

لقد ابتُليت بعض بلاد المسلمين بألفاظ شاعت بين الناس، من السباب والشتائم في حق الله ورسوله، حتى إن العبد ليسمع ما ينفطر له قلبه؛ بل يسمع ما تُدَكُّ لهوله الجبال، من سبٍ لله تعالى الذي بقبضته السماوات والأرض ، أو شتمٍ للدين عَدْواً بغير علم ، أو تعريضاً بالرسول صلى الله عليه وسلم بالتنقيص أو السباب. بل قلّما تجد من يتمعّر وجهه لسماع هذا المنكر العظيم، بسبب الجهل بخطورة هذه الألفاظ والأحكام المترتبة عليها.

وهذه رسالة موجزة، فيها بيان أهم الأحكام المترتبة على سب الله ورسوله ودينه أو الاستهزاء بهم أو بشعيرة من شعائر الإسلام، وتبين ما فيها من الخطورة الإيمانية والعقائدية التي توجب لقائلها الخاتمة على غير الإيمان نسأل الله العافية.

هيئة الشام الإسلامية

www.islamicsham.org
contact@islamicsham.org
/islamicsham